عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد الثامن - العدد الرابع 1400 - 1979

4

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الدين محمد

حملة نادر شاه على بغداد

بقلم الدكتور

علاء موسى كاظم نورس

كلية الاداب / جامعة بغداد

كانت العلاقات العثمانية الفارسية ذات طابع خاص محلي ودولي منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي . فقد ادى ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس ، الى احداث انقلاب في استراتيجية الدولة العثمانية فتوقف زحفها في اوربا أو كاد واتجهت اتجاهاً شرقياً في قلب الشرق العربي[1] . وذلك للوقوف بوجه الصفويين الذين كانوا معهم على طرفي نقيض ، والذين اخذت قوتهم تتعاظم بسرعة واصبحوا يهددون الدولة العثمانية بعد ان امتدت سيطرتهم الى هراة شرقاً وديار بكر وبغداد غرباً[2] .

ولكن ، كما واجه الساسانيون والغرثيون من قبلهم البيزنطيين والرومان فقد وجد الصفويون ان عليهم ان يتحملوا تبعة تحدي سلطة الاتراك العثمانيين[3] ، خاصة وانه لم يبق للدولة الآق قويلو الحاجزة بينهما اي وجود بعد سقوطها سنة ١٥٠٨م[4] .

ولما كان العراق مركز الجاذبية السياسية والاقتصادية خلال مختلف العصور ، فقد دار صراع متطاول بين الفرس والعثمانيين للاستيلاء عليه . ولم ينه الفتح العثماني للعراق سنة ١٥٣٤م هذا الصراع ، فالعراق عاد الى السقوط مرة اخرى بعد ذلك في يد الصفويين[5] . ولكن اذا كان العثمانيون قد حاولوا اكثر من مرة استرداد بغداد وفشلوا[6] ، الا ان ذلك ما كان ليحول دون معاودة الكرة ، وبقوة اكبر ، اذا تولى العرش سلطان قوي مثل مراد الرابع آخر السلاطين العثمانيين الفاتحين . فقد قام بحملة شاملة على بلاد فارس واسترد العراق في سنة ١٦٣٨م[7] ؛ بعد احتلال فارسي دام خمسة عشر عاما (١٦٢٣ ـ ١٦٣٨) . ودارت من بعد مفاوضات ادت الى عقد معاهدة زهاب سنة ١٦٣٩م[8] ؛ والتي اصبحت نصوصها اساسا لجميع المعاهدات التالية ، بل كان لها شأن خطير في تحديد العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية حتى القرن العشرين .

غير ان اطماع الدولة الفارسية التوسعية لم تحل دونها اية معاهدة ، واذا قدر لهذا الصلح ان يدوم فترة طولها ثمانون عاما ، دون ان يعكره

---

(١) محمد انيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ، القاهرة ؟ ، ص ١٠٠ .

(٢) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، القاهرة ١٨٩٦ ، ص ٧٢ ؛ خليل ادهم ، دول اسلامية ، استانبول ١٣٤٥ ، ص ٤١٢ .

(٣) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الادنى ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ .

(٤) ستيفن لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ط ٢ ، بغداد ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .
وكان الشاه اسماعيل الصفوي قد استطاع في سنة ١٥٠٨م ان ينتزع بغداد من سيطرة القبيلة التركمانية الآق قويلو التي حكمت العراق منذ سنة ١٤٦٨م .

(٥) سقطت بغداد ثانية بايدي الفرس سنة ١٦٢٣م في عهد الشاه عباس الكبير .

(٦) مرتضى نظمي زادة ، كلشن خلفا ، ترجمة موسى كاظم نورس ، النجف ١٩٧١ ، ص ٢٢ ؛ احمد بن لطف الله منجم باشي ، صحائف الاخبار ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٧) انظر نصوص المعاهدة في : تاريخ نعيما ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ ؛ معاهدات عمومية مجموعة مي ، ج ٢ ، ص ص ٢١٠ ـ ٢١٢ ؛ شاكر الصابط ، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، ص ص ٣٢ ـ ٣٦ .

WWW.ATTAWEEL.COM

قتال جدي بين الدولتين ، فان ذلك يمكن ان يعزى الى انشغال الدولة العثمانية بحروبها الاوربية[٨] ، وانشغال الدولة الفارسية بمشاكلها الداخلية .

وينبغي ان نشير هنا الى ان بلاد فارس شهدت في اوائل القرن الثامن عشر ، تزايد انحلال الاسرة الصفوية ، وسيرها نحو الانهيار بخطى سريعة . وما رافق ذلك من موجات عاصفة من الاضطراب وعدم الاستقرار ، استغرقت العقود الثلاثة من ذلك القرن ، ووصلت الى مداها بتمزق البلاد الفارسية على اثر سقوط الحكم الصفوي سنة ١٢٧٧م بعد الغزو الاجنبي الافغاني اولاً ، ومن ثم الروسي والعثماني[٩] .

غير ان الفرس بعد ان افاقوا من نكباتهم واستطاعوا اخراج كافة القوى الغازية من بلادهم ، اثر ظهور شخصية نادر شاه[١٠] على مسرح الاحداث في بلاد فارس ، وتزعمه المقاومة ضد الغزاة[١١] ، عادوا مرة اخرى الى التدخل في شؤون العراق ، واستخدموا في سبيل ذلك كل ما في جعبتهم من اسلحة . ثم غزت قواتهم العراق تحت قيادة نادر شاه في سنة ١٧٣٢م ، وهي تعتبر آخر محاولاتهم الخطيرة للاستيلاء عليه ، وكادت بغداد ان تسقط لولا صمودها وتصدي جماهيرها للقوات الغازية .

وكان نادر شاه قد بعث برسالة الى احمد باشا والي بغداد يتوعده فيها وينذره بانه زاحف نحو بغداد لفتحها حيث خاطبه قائلاً : « ليكن معلوماً لديكم ، يا باشا بغداد ، اننا سائرون حالاً على راس جيشنا لنتنسم هواء سهول بغداد العليل ، ولنستريح في ظل اسوارها »[١٢] .

وقد اسرع احمد باشا بتحصين مواقع الحدود في درنه ومندلي وبدرة[١٣] ، وعزز حامياته في زهاب وقصر شيرين . ثم اصلح مراكز الدفاع الموجودة في سور بغداد ، واخبر الباب العالي بسرعة دنو الخطر[١٤] . وذكر في رسالة بعثها الى القسطنطينية ، بيد مبعوثه عثمان اغا الجوقدار « ... ليس لدينا جيش يعتمد عليه ، اتفقت كلمتنا ان نتخذ الحصار في بغداد ... نطلب الاهتمام للامر واتخاذ العدة اللازمة من جميع جهاتها »[١٥] . وقد اسرعت الدولة العثمانية بارسال نجدات كبيرة الى بغداد[١٦] .

اما نادر فقد اقترب بقواته التي تقدر بمئة الف مقاتل من الحدود العراقية ، وبدأ بمهاجمة المواقع التي قام احمد باشا بتعزيزها ، فاستطاع ان يحتل موقع زهاب بعد ان فاجأ القوات العثمانية

---

(٨) كانت ابرز حروب الدولة العثمانية في هذه الفترة مع النمسا ، وقد انهزمت خلالها هزائم ساحقة . وفي سنة ١٦٩٩م انتهت الحرب معاهدة كارلوفتز ، والتي لم تعد الدولة العثمانية بعدها ذلك الخصم العنيد الذي كان يهدد اوربا الغربية ، وغدت اوربا هي التي تهدد وحدة الامبراطورية العثمانية وتماسك اجزائها .

(٩) Sykes, P. : A History of Persia, Vol. II, London 1969, 183, 237;
صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، بغداد ١٩٧٦ ، ص ٥٢ .

(١٠) ولد نادر وترعرع في خراسان ، وكانت ولادته في الثاني والعشرين من تشرين الاول ١٦٨٨م (٦ محرم ١١٠٠هـ) ، وبدا حياته راعيا كابيه ، غير انه اخفق سلم النجاح منذ دخوله في خدمة (بابا علي بيك احمدلو) الذي كان حاكما لمدينة ابيورد ، وزعيما للقبائل الافشار فيها . وعند موت احمدلو ـ وبعض الروايات تتهم نادر بتدبير قتله ـ اصبح نادر حاكما على ابيورد ، وبدأ نجمه بالظهور على مسرح الاحداث . وفي السابع من تموز ١٧٣٢م (١٧ ربيع الاول ١١٤٥هـ) وضع نادر نفسه وصياً على العرش الفارسي واتخذ لقب (وكيل الشاه) وبعد حوالي اربعة سنوات توج شاها لبلاد فارس (٨ آذار ١٧٣٦م/٢٤ شوال ١١٤٨هـ) . للاطلاع على سيرة نادر شاه ، راجع :
Sykes, P.: op. cit., Vol. II, pp. 247-8; Encyclopaedia Britanica, (U.S.A. 1965), Vol. 15, P. 1146;
محمد حسين ميمندي ، حياة نادر شاه افشار

(١١) دونالد ولبر ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة عبدالمنعم محمد وابراهيم الشواربي ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩٥ ؛
Lockhart, L.: The Fall of the Safavi Dynasty, Cambridge 1958, P. 307.

(١٢) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(١٣) محمد حسين قدوسي ، نادرنامه ، خراسان ١٣٢٩ ، ص ٢٢٩ .

(١٤) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ؛ جعفر الخياط ، صور من تاريخ العراق ، ج ١ ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٣١ .

(١٥) عباس العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٥ ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(١٦) السويدي ، حديقة الزوراء ، ق ٢ ، مخطوط ، ورقة ١١٧ ؛ الكركوكلي ، دوحة الوزراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٢٩ .

هناك ، بمهاجمتها ليلاً من جهة غير متوقعة[١٧] . ثم بدأ توغله في الاراضي العراقية ، وبدلاً من ان يتجه مباشرة الى بغداد تظاهر بأنه زاحف بجيشه نحو كركوك ، على امل ان يخدع احمد باشا ويجعله يتحرك من بغداد لملاقاته[١٨] .

وبالقرب من طوزخورماتو[١٩] ، توقف نادر شاه وارسل قسما من قواته لغزو كركوك[٢٠] ، ولكن القوات الفارسية واجهت مقاومة شديدة فعجزت عن احتلالها ، وعندئذ قامت بتدمير القرى المجاورة لها[٢١] . وفي الوقت نفسه كانت هناك قوات فارسية تقدر بثمانية آلاف مقاتل يقودها (نركز خان) تشن هجوماً على الموصل ، الا ان واليها حسين باشا الجليلي تمكن من صدها والحاق الهزيمة بها ، فاضطرت الى التقهقر بعد أن قتل قائدها نركز خان ، والتحقت بالجيش الرئيس الذي كان قد اقترب في زحفه من بغداد[٢٢] .

وكان نادر قد واصل تقدمه من طوز خورماتو وتمكن من دحر القوات العثمانية المتواجدة بالقرب من شهربان[٢٣] ، كما حاصر بعد عبوره نهر ديالى من بهرز ، وصار على بعد عدة مراحل من بغداد ، فرقة استطلاع عثمانية كانت قد أرسلت للتعرف على حقيقة العدو ، فقتل واسر عدداً كبيراً من افرادها ، كما قتل قائدها محمد باشا حاكم كوي[٢٤] .

وفي اواخر كانون الاول ١٧٣٢م (رجب ١١٤٥هـ) بدأ نادر بفرض حصاره على الجانب الشرقي من بغداد ، وقد عسكر بالقرب من قصبة الامام الاعظم ابي حنيفة ، وعزم على العبور الى الجانب الايمن لنهر دجلة ، لتطويق بغداد من جميع جهاتها ، وكان احمد باشا والي بغداد قد قام بتحصين هذا الجانب ، لمنع اية محاولة فارسية للعبور[٢٥] . وفي العشرين من كانون الثاني ١٧٣٣م (شعبان ١١٤٥هـ) ، احبطت اول محاولة لهم[٢٦] .

غير ان نادر استعان بمهندس اوربي كان يرافقه في الحملة ، في انشاء جسر عائم من جذوع النخيل على بعد عدة اميال من شمالي بغداد ، وبعد الانتهاء منه ، تمكنت ثلة من القوات الفارسية تعدادها الفين وخمسمائة مقاتل ، يقودها نادر نفسه ، من العبور الى الجانب الايمن من نهر دجلة ، وذلك في الخامس عشر من شباط (الاول من رمضان ١١٤٥هـ) ، ثم عبرت بالزوارق قوات اخرى تتالف من الف وخمسمائة مقاتل ، فتكون من ذلك رتل قوي زحف الى الكرخ[٢٧] ، فتصدت لهم القوات العثمانية بقيادة قره مصطفى باشا ، واسرع احمد باشا في ارسال تعزيزات كبيرة الى هناك[٢٨] . وقد جرت معركة عنيفة رجحت فيها كفة العثمانيين في أول الامر ، حتى خاف نادر على حياته ، الا ان نجدات فارسية عبرت بسرعة ، فتغير الموقف ، وانسحبت القوات العثمانية الى المدينة بعد ان تكبدت خسائر كبيرة[٢٩] .

واذ ذاك امر احمد باشا سكان جانب الكرخ بالانسحاب العام الى الجانب الايسر[٣٠] (الرصافة) ، ليكونوا في حماية سوره المنيع ، وقد صحب هذا الانتقال عبر دجلة اهوال ومصاعب كبيرة حيث يذكر الكركوكلي « وكانت السفن لا تكاد تكفي لنقلهم من جانب الى جانب ، ومن جراء الازدحام هلك خلق كثير من الناس ، بمن فيهم الشيوخ والعجائز والاطفال »[٣١] .

وقد خف نادر لاحتلال راس الجسر في جانب

---

(١٧) ميراز مهدي خان ، جهانكشاي نادري ، تهران ١٣٢١ ، ص ص ١٩١ ـ ١٩٢ ؛ دره نادرة ، تهران ١٣٤١ ، ص٧٢٥ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(١٨) قدوسي ، المصدر السابق ، ٢٢٩ .

(١٩) قرية تقع الى الشرق من الطريق المباشر المار من بغداد الى الموصل ، والى الشمال الغربي من كركوك .

(٢٠) ميرزا مهدي خان ، جهانكشاري نادري ، ص ١٩٣ .

(٢١) صفحة منسية من تاريخ نادر شاه ، نبذة تاريخية كتبها احد نصارى كركوك المعاصرين لنادر ، ونشرها ترسيس صائيغان في مجلة لغة العرب ، الجزء الخامس ، السنة السابعة ، مايس ١٩٢٩ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ .

(٢٢) ياسين العمري ، غاية المرام ، ص ١٨٠ ؛ زبدة الاثار الجلية تحقيق عماد عبدالسلام ، النجف ١٩٧٤ ، ص ٨٨ ؛ سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ، ج ١ ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص٢٧٤ .
ومما يجدر ذكره هنا انه لم ترد اية اشارة في المصادر الفارسية الى قيام القوات الفارسية بمهاجمته .

(٢٣) ناحية تابعة لقضاء مركز بعقوبة في محافظة ديالى ، وهي تبعد عن بغداد حوالي ١٠٨ كيلومتر .

(٢٤) ميرزا مهدي خان ، جهانكشاري نادري ، ص ١٩٤ ؛ قدوسي ص ١٧١ .

(٢٥) السويدي ، المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١١٧ و ١١٨ ؛ المصدر السابق ، ص ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ؛ لونكريك ، المصدر السابق الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩ـ٣٠ .

(٢٦) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧١ .

(٢٧) ميرزا مهدي خان ، المصدر السابق ، ص ص ١٩٦ ـ ١٩٧ ؛ قدوسي ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .
المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢٨) السويدي ، المصدر السابق ، ق٢ ورقة ١٢٠ ؛ الكركوكلي

(٢٩) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣٠) نفس المصدر .

(٣١) الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

الكرخ[٣٢] ، وبعث قسماً من قواته لاحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والحسكة والرماحية[٣٣] .

وبعد أن احكم الفرس الحصار حول بغداد ، اصبح الموقف فيها حرجا تماما ، غير أن الفرس سرعان ما ادركوا ضعف مدفعيتهم ، حيث لم تتمكن من احداث ثغرات خطيرة في سور بغداد ، الذي كان محكماً . ولذا لم يكن امامهم غير الاستمرار في الحصار املاً في ان تستسلم لهم . ولجأ نادر الى الاساليب النفسية في محاولة للتاثير على معنويات جماهير بغداد ، فكان يرسل ارتالاً من جيشه بصورة خفية ليلاً الى اطراف بغداد ، ثم يعودون بوضح النهار وكأنهم نجدة قادمة الى الفرس[٣٤] .

والواقع ان الحالة داخل المدينة المحاصرة اصبحت مضطربة ، فقد كان الضيق آخذاً بالاشتداد ، حيث قلت الاقوات ، ويأس الناس من أمل وصول الامدادات العسكرية من الباب العالي ، رغم أن احمد باشا والي بغداد كان يشرف بنفسه على شؤون الدفاع ومناوشة العدو ، وعلى ادامة المقاومة وبث الروح المعنوية لاطالة أمد الثبات والصمود ، حيث كانت تذاع من وقت لآخر وبايماز منه ، أخبار تنبىء بقرب وصول الامدادات[٣٥] . لكن ويلات المجاعة اخذت شكلاً مروعاً في المدينة ، بحيث اكل الناس لحم الحمير والكلاب والقطط ، فانتشرت الاوبئة بصورة هائلة ، وبلغت الحالة ـ كما يصفها الشيخ عبد الرحمن السويدي ـ انه اثناء خروجه من مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، بعد انقضاء صلاة الجمعة متجهاً نحو منزله ، شاهد في طريقه امراة منكبة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع لحمه وتضعه في حجرها[٣٦] .

وفي هذه الاثناء ورد كتاب من معتي الجيوش الفارسية الى علماء بغداد ـ بناء على امر من نادر ـ يقول لهم فيه :

(٣٢) لونكرك ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣٣) Hammer, J. : Histoire de L'Empire Ottoman, Vol. XIV (14), Paris 1839, P. 287.

وانظر : كامل باشا ، تاريخ سياسي دولت عليه عثماني جـ٢ ، ص ١٤٥ ؛ قدوسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢١

(٣٤) لونكرك ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

(٣٥) الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٣٦) السويدي ، المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٢١ و ١٢٢ .

« اننا علمنا ما وصلت اليه الحالة بكم ، وعلمنا انكم تنقصكم الاقوات والعساكر والعتاد ، وان الناس قد اهلكتهم المجاعة ، فانتم وحدكم المسئولون عنهم عند الله . قولوا لاحمد باشا ان لا يلقي الناس الى التهلكة عبثا ، وان يستسلم فان ذلك أولى له من الدمار التام »[٣٧] .

فلما بلغ الباشا ذلك قال للعلماء اكتبوا له « انني لا اسلم حجراً من احجار بغداد حتى اقبر في مكاني هذا ، وان ذخيرتنا كافية ومددنا كثيرة العدد متواصلة المدد ، ولم يكن توقفنا عن مناوشتكم في بعض الايام دون علة او حكمة ، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون »[٣٨] .

وفي اوائل حزيران ١٧٣٣م (محرم ١١٤٦هـ) وصل مدينة الموصل طوبال عثمان باشا الصدر الاعظم السابق ، على راس جيش تعداده ثمانون الفا ، بعث به السلطان العثماني لفك الحصار عن بغداد[٣٩] . وبعث طوبال برسالة الى والي بغداد يخبره فيها بانه قادم لنجدته[٤٠] ، فاشتدت العزائم ، واستماتت المحاصرون في الدفاع[٤١] .

وعندما تأكد نادر من صحة اقتراب القوات العثمانية ، اصدر اوامره بتشديد الحصار على بغداد[٤٢] ، وبعث كتاباً الى طوبال عثمان باشا ، الذي كان قد وصل في زحفه الى كركوك ، تمنى له رحلة سريعة نحو حتفه ، وعند اقترابه من سامراء تسلم كتاباً آخر من نادر يعلمه فيه بانه جاهز للاقائه في اي وقت ومكان يختاره هو . ثم زحف نادر على راس قوة كبيرة مؤلفة من خمسين الف مقاتل[٤٣] ، لمجابهة القوات القادمة قبل وصولها الى بغداد ، تاركاً اثنى عشر الفا من قواته لمواصلة حصار بغداد[٤٤] .

(٣٧) الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ٢١ وانظر السويدي ، المصدر السابق ، ق ٢ ، ١٢٢ .

(٣٨) السويدي ، المصدر السابق ق٢ ، ورقة ١٢٢ .

(٣٩) لونكرك ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ ؛
Sykes, P. : op. cit., Vol. II, P. 251.

(٤٠) قدوسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

(٤١) الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٤٢) نفس المصدر .

(٤٣) لونكرك ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ ؛ قدوسي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ .

(٤٤) ابراهيم افندي ، مصباح الساري ، جـ١ ، ص ٢٢٠ ؛

وعندما علم القائد العثماني طوبال بذلك عن طريق دوريات الجند الاستطلاعية ، التي كان يرسلها لمعرفة تحركات نادر العسكرية ، توقف عن المسير ، وعسكر على ضفاف دجلة بالقرب من سامراء ، وأمر ضباطه بالاستعداد للمواجهة(٤٥) .

وفي صباح اليوم التاسع عشر من تموز ١٧٣٢م (٦ صفر ١١٤٦هـ) ، التحمت طلائع القوتين(٤٦) ، في معركة كانت في ضراوتها واحدة من اشد المعارك التي خاضها العثمانيون والفرس(٤٧) ، وتمكنت قوات نادر في بدايتها من دحر خيالة العثمانيين ، الا ان تقدم قوة المشاة العثمانية ، اعاد التوازن الى المعركة(٤٨) . فشن الفرس هجوماً عنيفاً ارغم خط الدفاع العثماني على التقهقر ، وتم الاستيلاء على قسم كبير من مدفعيته ، فاصبح موقف العثمانيين حرجاً ؛ ولكن طوبال عثمان باشا واجه الموقف الصعب برباطة جاش ، ورفض فكرة مستشاريه الذين اشاروا عليه بالتقهقر ، وزج بقواته الاحتياطية المؤلفة من عشرين الف مقاتل الى ساحة المعركة ، فاستطاعت الحد من الهجوم الفارسي ، واستعادت المدفعية التي فقدتها(٤٩) ، مما دفع نادر ان ينزل بنفسه الى قلب المعركة ، فسقط مرتين على الأرض ، وهرب حامل لوائه من الميدان معتقداً ان نادر قد قتل ، وبلغ جنده درجة الاعياء من الحر والعطش ، فبالاضافة الى اشعة تموز المحرقة ، لم يكن بوسع الفرس الحصول على الماء لسيطرة العثمانيين على ضفاف دجلة ، فاضطر نادر الى الانسحاب من ارض المعركة ، بعد أن اضاع سيطرته على الفلول المتفرقة من جيشه(٥٠) .

وهكذا بعد قتال مرير دام تسع ساعات متواصلة ، انتهت المعركة بهزيمة تامة وساحقة للقوات الفارسية(٥١) ؛ وارسلت رسائل الظفر من ميدان الموقعة(٥٢) ، الى السلطان العثماني ، والى باشا بغداد(٥٣) .

ويمكن أن يعزى صمود العثمانيين الى شخصية قائدهم البطولية وثباته في المعركة ، فقد كان خلالها « يوجه رجاله بحكمة كبيرة وعزم » على حد قول طبيبه الفرنسي الخاص جان نيكوديم في رسالة له الى السفير الفرنسي في القسطنطينية الماركيز دي فيلنيوف مؤرخه في ١٠ آب ١٧٣٣م . ويستطرد الكاتب الفرنسي في وصفه لطوبال يوم المعركة قائلا : « وبعد ان صلى ، امتطى صهوة جواده ، وهو عمل لم يقم به خلال الحملة ، اذ كان محمولاً على محفة بسبب اعتلال صحته ، ولا يمكن ان اعزو القوة التي اظهرها الآن الى شيء سوى روحه العسكرية ، والحماس المتأجج في داخله ... فقد رايته ممتطياً جواده كانه في عنفوان الشباب ، قابضاً بيده على سيفه ، فكانت سيماه تبعث في الناظرين اليه الحماسة والنشاط ، وعيناه تتالقان حين يصدر اوامره بخفة مدهشة وفكر متيقظ »(٥٤) .

لقد انقذ النصر الذي احرزه طوبال عثمان باشا ، بغداد من السقوط بأيدي الفرس ، فقد هرب نادر جريحاً ومعه فلول قواته المنهزمة عن طريق بهرز باتجاه الاراضي الفارسية(٥٥) . وقام

كامل باشا ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٤٥ ؛ قدوسي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ؛ المزاوي ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٢٤١ ؛
Sykes, P. : op. cit., Vol. II, P. 251.

اما لونكريك فيقول ان القوة التي تركها نادر لتدميرالحصار كانت مؤلفة من ثمانية الاف مقاتل . (لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٦) .

(٤٥) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٤٦) ابراهيم الندي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢٠ ؛ قدوسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ؛
Hammer, J.: op. cit., Vol. XIV, P. 290.

(٤٧) Malcolm, J.: The History of Persia, Vol. II, London 1815, P. 57;

(٤٨) Sykes, P.: op. cit., Vol. II, P. 252.

(٤٩) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٥٠) قدوسي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ؛
Malcolm, J.: op. cit., Vol. II, P. 57.

(٥١) تاريخ صبحي ، جـ١ ، ص ٩٧ ؛ ابراهيم الندي ، المصدر السابق، جـ١ ، ص٢٢٠ ؛ احمد راسم، عثماني تاريخي، جـ٢ ، ص ٢٨٦ ؛ لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٥٢) كان ميدان الموقعة عند قرية الدجيل على ضفاف دجلة ، على بعد (٦٢) كيلومتر الى الشمال من بغداد . انظر :
Hammer, J.: op. cit., Vol. XIV, P. 290.

(٥٣) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٥٤) انظر نص رسالة نيكوديم الى السفير الفرنسي في :
Hammer, J.: op. cit., Vol. XIV, PP. 514-528.

وفي الرسالة وصف مسهب لمعركة التاسع عشر من تموز ١٧٣٢م (٦ صفر ١١٤٦هـ) وانظر : لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ ؛
Creasy, E.: History of the Ottoman Turks, PP. 353-4.

(٥٥) ابراهيم الندي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٢٢٠ ، احمد راسم ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨٦ ؛
Shay, M.: The Ottoman Empire from 1720 to 1734, Urbana 1944, P. 144.

أحمد باشا عند وصول أنباء الانتصار ، بمهاجمة القوة الفارسية المرابطة عند اسوار بغداد ، فقتل معظم افرادها(٥٦) ، واستطاع الباقون الهرب الى بلاد فارس(٥٧) ، فتخلصت بغداد من الحصار الذي عانت منه الويلات طيلة سبعة شهور(٥٨) .

وقد استقبلت القسطنطينية اخبار انتصار طوبال عثمان باشا ، وانتهاء حصار بغداد ، بفرح عظيم ، وامتدت الاحتفالات ثلاثة ايام بلياليها ، وانهالت على طوبال الالقاب والتفويضات ، حيث انعم عليه السلطان محمود الاول بلقب (الغازي)(٥٩) . وتفاخر الصدر الاعظم علي باشا حكيم اوغلو امام السفير الفرنسي في القسطنطينية الماركيز دي فيلنيوف Villeneuve بان طوبال عثمان جمع غنائم من الحرب تكفي لتحصين وتسليح مدينة جديدة(٦٠) .

---

(٥٦) يبالغ لونكريك حين يقول ان القوة الفارسية ابيدت عن اخرها ولم يسلم منها انسان . (اربعة قرون من تاريخ العراق ، ص ١٧٦) .

(٥٧) قدوسي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٥٨) السويدي ، المصدر السابق ، ق٢ ، ورقة ١٢٦ .

(٥٩) احمد راسم ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨٦ .

(٦٠) Shay, M.: op. cit. P. 144.

WWW.ATTAWEEL.COM